الشَّيْصَبانُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 9 - 322 - 79 - 9947 - 978 : (ISBN)

اسم العمل: الشَّـيْصَبان
اسم المؤلف: يوسف حاجي
تصميم الغلاف: عبد المور شلالو
المدير العام / سميرة منصوري

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
https://www.facebook.com/elmothakaf/
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666

يوسف حاجي

الشَّيْصَبان



غدا سترحل الأوجاع من الدنيا مثلما
جاءت يوما بلا استئذان
سيطرق الفرح باب قلبك الصغير
بدون حساب فقط أحسن الظن
وتفاءل بالله خيرا..



اعتذار

للكلبة لأني نسبت إليها: الخبيث، والمنافق، والخسيس، والكذاب، والجاهل، والمنبطح، والخائن، والدجال، والمخادع، والمتلون، والمرتشي، والنمام، والحاسد، والطماع، والرعديد الجبان...

ولـد سـلام فـي بـؤرة موبـوءة يحميها الجهل يعشّـش فيهـا التخلـف، جـلّ أهلهـا يقولـون مـا لا يفعلـون يدّعـون الفضيلـة وهـم غارقـون فـي الرذيلـة، لا ينهـون عـن منكـر ولا يحترمـون حـدود الخالـق والمخلـوق، بريـق الدنانيـر أخـذ أبصارهـم فطمـس الله بصيرتهـم، قبلتهـم فـروج نسـائهم، الرشـوة والربـا تجريـان فيهـم جريـان الكريـات البيضـاء والحمـراء، الزنـا فـي كل الـدول محظـور إلا عندهم فهـو مضبـوط بالقانـون ولأجلـه تقـام الليالـي الملاح وتجدهـم يهنئـون بعضهـم البعـض بمناسـبة دخولهـم قفـص الزنـا.

جـاء سـلام لهـذه الحيـاة مجبـرا غيـر مخيـر والذنـب كلـه يقـع علـى أمـه وأبيـه، مجيئـه لهـذه الحيـاة كان ذا ثمـن باهـض كلـف جسـد أمـه الضعيـف ليالـي من السـهر والمعانـاة انتهـت بنزيـف وعمليـة قيصريـة هدمـت علـى سـلام صومعتـه التـي تحصّـن بهـا

ورفض الخروج منها لوسط ملوث وحرمت أمه لذة الحمل والإنجاب ومع كل هذه المعاناة خرج سلام ناقصا، ذميم الخلقة، لونه شاحب كلون عبيد القرون الأولى، بضيق في التنفس من يراه يظن أنه مودعٌ للحياة وليس مقبلا عليها.

جاءت عملية الختان لتزيد الطين بلة، فبدل أن يقطع الخَتان ما هو زائد تمرّدت عليه شفرته ولامست ما يذبح لأجله كبش، أضافت هذه الشفرة معاناة لمعاناة سلام ومدّدت مدة سهر الأم المسكينة، وبعد جهد جهيد وحرص شديد تماثل سلام للشفاء.

وبدأ سلام يخطو خطواته الأولى ويخرج للشارع فلم يكن يجرأ على تجاوز عتبة الدار، كان يقف ويراقب المارّة لساعات دون أن يأتي بحركة تدل على سخطه أو رضاه على العالم الذي كان يركل من أجله بطن تلك المسكينة.

وبعد مرور خمس سنوات من مجيء سلام لهذا العالم جاء وقت الدراسة، فلم يكن بكاؤه كبكاء الأطفال الذين يبكون بسبب ذهابهم للمدرسة في اليوم الأول بل كان يبكي وبحرقة من جراء الضرب الذي يكافأ به من أبيه لأنه كان كثير التبول في فراشه، فوحشية الأب لم تعالج الأمر بل فاقمته حيث بات سلام يتبول في الصحو أكثر منه في النوم ويا ليته كان في البيت فقط بل تعدّاه ليصل للمدرسة وفي كل مكان اصطحبته إليه الأم، فحاز لقب البوال من طرف أقرانه من أبناء الحي والمدرسة. والفضل يرجع في حصوله على هذا اللقب لذكاء الأب الذي لم يجلس في مقعد دراسة ولم يطالع جريدة. ومع ذلك كان سلام متفوقا في دراسته لا سيما في المرحلة الابتدائية كأنه كان يغطي شيئا بشيء.

كانت أول وظيفة شغلها سلام وهو لا يزال في الابتدائي وظيفة تختلف تماما عمّا هو مألوف

لدى الأطفال بيع الجرائد، والأكياس البلاستيكية وشرائح اليقطين وأكواب الحمص المبلل وغيرها من الوظائف التي يمارسها الأطفال وهم دون السن القانوني للشغل في عطلة الصيف، واختياره لهذه المهمة ليس لجماله أو ذكائه وإنما لأنه كان عنصرا غير مشكوك فيه ولأنه كان جار طرفي الشركة التي عيّن فيها، فمن المعلوم أن لكل عامل أجر معلوم يأخذه في وقت معلوم إلا سلام فكان أجره حسب مزاج أصحاب الشركة ونوعية الأخبار والمعلومات التي ينقلها، فإن كان المزاج رائقا والأخبار والمعلومات التي ينقلها جيدة حظي بأجر عالٍ وبعض القبلات ورشّ بعطر المتلقي، وإن كان الجو مكهربا صب عليه أحد الطرفين أو كلاهما جام غضبه، وأخذ ثمن ذلك صفعة نفضت الغبار من على وجهه وطارت باللعاب من فمه، مهمته لم تكن تقل خطورة عن مهمة جواسيس الحرب الباردة،

ما أشبهه بانتحاريي اليوم فكانت تُخبأ الرسائل والهدايا في ثيابه، وحتى التوقيت كان يُحدد له فكانت جل العمليات تتم أثناء صلاة المغرب لأن أب ليلى كان رجلا مواظبا على صلاة الجماعة وكان يبقى في المسجد إلى أن يصلي العشاء، فمهمة رسول الحب التي لعبها سلام كانت بمثابة درس تمهيدي لمرحلة المراهقة، وسببا في بقائه خمس سنوات في المتوسط بدل ثلاثة؛ وأكثر ما أحزن سلام وكان سبب انتكاسته أنه لم يدع لحفل زفاف لطفي على ليلى، فكلّما حاول دخول للبيت المتواجد فيه العريس كان يتعرّض لطرد من طرف دحمان ابن عم العريس ذلك الشاب الذي تعلوه مسحة من الغباوة وزرقة في الشفاه لشراهته في التدخين وغلظة في القول والفعل، بحجة أنه صغير وأن هذا المكان مخصص للكبار؛ أما في خيمة العروس لم يسمح له بالاقتراب لا من الخيمة

ولا من بيت العروس بسبب الأطفال الذين كانوا يضربونه ويبصقون عليه؛ أدرك سلام ساعتها أنه كان مجرد أداة انتهى دورها عاد إلى البيت بقلب منكسر وغصة في الحلق وهو يردد أولاد الكلبة استخدموني وبعد ما انتهوا مني تنكروا لصنيعي ورموني تبا..

مرّت عطلة الصيف على سلام كأنها ظهر قضاها سلام في الجري وراء الظل من هذا الحائط إلى ذاك، كان يذوب ذوبان العشاق ساعة رؤية المعشوقة كلما رأى آلة المثلجات، كان يغازلها بصمت ويودّعها بآهات ويتعهد في صدره أنه إن هو كبر وتوظف سيشتري آلة خاصة به تصنع له المثلجات كيفما يشاء وفي الوقت الذي يشاء وبالحجم واللون الذي يشاء.

أقبل الموسم الدراسي وفتحت المدارس أبوابها ولا يزال سلام يراود أباه ليشتري له ملابس كملابس حسين ابن الجيران إلا أن راتب الأب

الهزيل حال بين سلام وبين ما يشتهيه من ملبس ومأكل...، وحتى يروح عنه الأب وعده بأن يشتري له دراجة إن هو تحصل على أكبر معدل في الفصل الأول، أيقظ وعد الأب المسكين في سلام همة وحماسا لم يلاحظا عليه من قبل، فأقبل سلام على الدروس والواجبات بشراهة وما إن تسلم سلام الكشف وتأكّد من حصوله على أكبر معدل في القسم طار من الفرحة ليخبر أباه ولكنه وجد فاتورة الكهرباء قد سبقته لراتب الأب وطارت بثلثيه، فبكى سلام بحرقة على حظه الذي أقل ما يقال عنه أنه سيئ وهو يقول: لماذا يتعب ويكدّ الإنسان ويجتهد في حياته وفي النهاية يحصل على وظيفة يتقاضى منها بضعة دنانير لا تكفي للمصاريف؟ تباً للوظيفة التي لا تحفظ كرامة الرجل أمام أبنائه.. ولا تشبع عياله؛ ومع ذلك لم يستسلم سلام لليأس ظل مواظبا ومنكبا على مراجعة دروسه إلى أن

تعرّف على حمزة ومحمد وصماد.

فحمزة عرف باسم الحية لتشابههما في الطول والنحافة واختلفا في موضع النعومة فكانت على جلدها وكانت على لسانه، أما السي محمد كان يحمل من السلف المظهر فقط، عاشق للقاصرات يصرف عليهن أمواله عرف عنه الطبطبة على ظهورهن قصد المواساة لكن كان لتلك اليد مهمة أخرى وهي تحسس من منهن بدأت ترتدي حمالة الصدر؛ وعبد الصمد أو صماد كما كان يناديه الجميع لا تراه إلا وهو يحمل حقيبة صغيرة تحوي بداخلها مقص أظافر وزجاجتي عطر، واحدة للفم وأخرى للجسد ومناديل ورقية ومرآة صغيرة، وشاحن للهاتف، وبطارية احتياطية وبعض حبات المسك، والحقيقة كلهم أولاد كلبة أفسدوا على سلام حياته التي دخلوها من غير استئذان، جلّ المواضيع التي يفتحونها ويطرحونها أمام سلام

تدور في فلك الجنس والسؤال عن كيفية إطالة الرعشة ساعة ممارسة العادة السرية؛ وكان السبق في فتح هكذا مواضيع دائما لحمزة الذي كان يكبرهم بسنتين.

-هل مارست العادة من قبل؟

فيقهقه محمد وصماد بصوت عالٍ لا يفهم منه إلا أنهما يشجعان حمزة بينما يتيه سلام في ثنايا السؤال ويرد وهو يتصبب عرقا.

-سلام: ماذا؟ وكيف تمارس؟ وفي أي وقت تمارس؟ ومع من تمارس. لا، لا أذكر أني فعلت ذلك.

يقفز صماد: أنت قديم جدا.

ويضيف محمد: أرى يا حمزة أن تأخذه معك للبيت ليشاهد فيلما ثقافيا لعل عقله يتحرك.

صماد: مالنا ومال عقله إن تحرك أو توقف نحن نريد تحريك ما حكم عليه بالعيش في الظل.

فيقرص حمزة عبد الصمد وينفجر الكل ضاحكا

عدا سلام الذي لم يفهم الموضوع بعد.
-حمزة غدا لن ندرس الرياضيات من الثامنة حتى العاشرة تعالوا وهاتوا معكم المسكين نأخذ فيه ثوابا.
-محمد هل الوضع آمن؟
-حمزة: لاتهتم أبي مسافر وأمي تذهب للعمل على الثامنة والنصف، وإخوتي كلّهم في المدرسة، أما جدتي لا تستطيع صعود الدرج.
-صماد: هل تذهب معنا يا سي سلام أم أنك تخاف؟
-سلام: لا.لا سيكتشف أهلي الأمر ويغضبون.
-حمزة ومحمد بلسان واحد: أيها الغبي ومن قال بأنك ذاهب معنا للبيت؟ ما عليك إلا الحضور في الوقت المعتاد للذهاب للمتوسطة لنلتقي عند الباب ونذهب معا.
-صماد: لمَ كلّ هذا الخوف؟؟ سنشاهد فيلما مدته عشرون دقيقة ونعود للدراسة.

لم ينم المسكين تلك الليلة من شدة التفكير والقلق، وفي الصباح ما إن خرج من البيت حتى صاح فيه محمد: يا خرا أسرع أنا أنتظرك من السابعة والنصف، لقد تركت صماد وحمزة ينتظروننا أمام المتوسطة.

يمشي سلام بخطى ثقيلة كأنه يساق للموت وهو يلتفت يمينا وشمالا ويرى إن كان يراقبه أحد.

ومع بداية الفيلم قفز قلب سلام من بين أضلاعه إلى ركبتيه وجحظت عينيه وتسارعت ضربات قلب المسكين وارتفعت حرارته وجفّ حلقه وتصبب عرقا من الذي يراه، وبينما كان نظره وتركيزه منصبا على الفيلم كان نظر وتركيز حمزة ومحمد وصماد على سلام.

من تلك اللحظة طلّق صاحبنا ورده وحبب إليه الاختلاء بنفسه حيث كل شيء مباح وبعيد عن أنظار تراقب وأفواه تسخر وتأنب، ومن طقوسه في ممارسة ما هو منتشر بين

المراهقين استحضار طيف الممثلة وحتى لا يقع في الروتين كان يعود بالذاكرة إلى أيام كانت تقبله ليلى وتطلب منه حملها للطفي ومع ذلك بقي أسير الروتين ولم ينجو من براثنه؛ إلى أن ظهرت الشلة مجددا ومن وغير سابق إنذار في حياة سلام لتعطيه دفعة نحو الأسفل.

-حمزة: سلام ألم تلاحظ تصرفات بنات القسم؟

-سلام: وهل بقي تركيز بعد الفيلم الثقافي؟

-صماد: يالك من مخادع تتغابى لتبعدنا عن القضية

-سلام: وما القضية؟

-محمد: القضية الفلانية.

تزداد حيرة سلام وتدفعه للانفجار عليهم أي قضية يا أولاد الكلبة؟

-حمزة: يا تيس ألا تلاحظ تصرفات إلهام معك أم أنّك أعمى؟ أنت الوحيد الذي تعطيه الحلوى، أنت الوحيد الذي تكتب اسمه بعد اسمها في

البحوث دون أن تطلب منك دفع فلس واحد، أنت الوحيد الذي تعيره دفاترها وفي أغلب الأحيان هي من تكتب لك الدروس.

-محمد: ألم أقل لكم إنه غبي لا يفقه شيئا؟ يعطى اللحم لمن لا أسنان له.

حمزة: أيها الأحمق فرصة وجاءتك لا تضيعها هي تنتظر الخطوة الأولى منك لتعبّر لك عن إحساسها اتجاهك، ثم لنفترض أنها رفضتك هل ستأكلك؟ لست أنت الأول والأخير الذي رفضته فتاة.

-سلام: يا جماعة ستتغير نظرتها لي إن أخطأت تفسير معاملتها لي.

صماد: وأي نظرة يا أبا نظرة التي ستتغير؟

رضخ سلام لوسوستهم وتساءل ماذا عليّ أن أفعل؟

-حمزة: أخبرها أنك تحبها وأنك تبادلها نفس الشعور.

-سلام في دهشة: أقول لها أحبّك دفعة واحدة؟

-محمد: لا لا بالتقسيط أيها...، قلت لكم إنه غبي لا داعي لنتعب أنفسنا معه.

صماد: أنت خائف ومتوتر لأنها المرة الأولى وكلّنا مررنا بهذه الحالة، اسأل محمدا ما حدث له مع نوال وحمزة مع خديجة.

-سلام: أعرف ولكن كيف أخبرها ونحن أمام التلاميذ؟ وقد تخبر الأستاذ، وقد تخبر أهلها.

-محمد: سهلة أكتب لها على ورقة أريدكِ في موضوع وأرسلها لها مع صديقتها منى.

احتار سلام في اختيار الورقة والقلم المناسبين لهذه المهمة خطّ لها ويمناه ترتجف : صديقتي إلهام أريد الحديث معك في موضوع يخصنا بعيدا عن أعين التلاميذ، وقبل أن يخبئها في كتاب التربية المدنية رشها بعطر من النوع الرخيص الذي سمحت به الظروف.

-سلام: منى في الكتاب أمانة أريد منك إيصالها

لإلهـام، منـى لا تخبـري أحـدا، منـى لا تفتحيهـا، منـى إيـاك أن يراهـا الأسـتاذ، منـى هـا هـي ذي إلهـام قادمـة أنـا ذاهـب لا تنسـي إعطاءهـا الرسـالة.

- منى: إلهام، إلهام هذه الرسالة لك.

- إلهام: لي أنا؟ ممّن؟

- منـى: مِـن سـلام، ولكـن عدينـي أن أعـرف مـا بداخلهـا.

- إلهام: لك ذلك.

مـرت الدقائـق علـى إلهـام مـرور السـنوات وهـي تقلّـب الموضـوع فـي كل الاتجاهـات لعلهـا تظفـر بـرأس الخيـط ولكن هيهـات أن يحدث ذلـك، فالخيط ورأسـه كلـه عنـد ذلـك القابـع فـي الطاولـة الأخيرة، ومـا إن دق جـرس حتـى هبّـت إلهـام صـوب سـلام مسـرعة وبخلدهـا ألـف سـؤال وسـؤال.

- إلهام: لقد وصلني مكتوبك.

- سـلام: أيّ مكتـوب؟ آه نعـم، إلهـام أودّ أن أخبـرك أنـي..

- إلهـام: مـاذا؟ هـل تحتـاج إلـى شـيء؟ أم أنهـا حيلـة مـن حيلـك لكـي أكتـب لـك الـدروس؟.
- سلام: إني أحبك، وإني أبادلك نفس الشعور.
- إلهـام: عـن أي حـبّ تتحـدث؟ أمـا مشـاعري اتجاهـك كانـت إشـفاقا ومعاملتـي لـك كانـت هـي الأخـرى مـن بـاب الإحسـان. تبـا لـك أيهـا الأحمـق أردتـك أخـا فأردتنـي فريسـة.

تسمّر سـلام مكانـه واصفـر وجهـه لا يميـزه عـن فزاعـة الطيـور سـوى الـروح التـي كادت أن تخـرج بعـد الـذي سـمعه. عـاد إلـى مقعـده وهـو يـداري دمعـه ويـردد أولاد الكلبـة خدعونـي ليتنـي مـا صدقتهـم ليتنـي مـا عرفتهـم.

ومـا كاد أن يسـترد عافيتـه حتـى وجـد جـدول الاختبـارات معلقـا فخاضهـا بنفسـية عليلـة كانـت وراء تدنـي نتائجـه.

الأم تبكـي وتقـول: أصيـب ابنـي بعيـن لابـد لـه مـن رقيـة، والأب يلقـي باللـوم علـى الأسـاتذة: مـا عادوا

يخشون الله في عملهم إنهم يأكلون السحت؛ حاول سلام أن يستدرك ما فاته في عطلة الربيع ولكن أنّى له ذلك بعد انقطاع إلهام عن الدراسة لظروفها الصحية، فأمضى سلام الفصل الثالث في تقصّي أخبار إلهام غير منتبه لما تحيكه له الأيام من محن وخطوب، وكان أولها تفرق جمعه حيث انتقل حمزة للقسم الأعلى وغادر صماد مقاعد الدراسة، وغيّر محمد مدرسته بسبب تغيير مقر سكناهم وبقي هو في مقعده لسنة أخرى مما جعل صيفه ملتهبا دون طعم؛ وليذيقه الأب مرارة الحياة أرغمه على العمل في ذلك السن والحر، كانت أول فكرة خطرت على باله بعد تسلم أول راتب الانقطاع عن الدراسة، فبريق الدنانير التي يأخذها في نهاية كل شهر سلبه التركيز في الدراسة وأبقاه في مقعده لسنة أخرى، ولم يكن لبريق الدنانير التأثير على سلام فقط بل ذهب بعقل الأب وجعله يساير

ابنه في طرحه لو لا تدخل الأم لكان لسلام ما يريد.

فتطلب إخراج سلام من مستنقع المتوسطة وليمة كاملة الدسم للسيد المدير وفضيلة المستشار غير أن سلام كانت له وجهة نظرٍ مغايرة، كان يتمنى ألا يقبلوا الرشوة ويطردوه من المدرسة ليتفرّغ لجمع الدنانير، وراح يلعنهم وينعتهم بأولاد الكلبة.

اجتاز سلام السنتين الأولى والثانية من المرحلة الثانوية بشق الأنفس ولسوء حظه وضعه الترتيب الأبجدي في قاعة لوحده مع ثمانية أعين مسلطة عليه، وثمانية آذان تتحسس نبضه، وأربعة ألسن تأمره، وأربعة أجساد تنبعث منها رائحة العرق الكريهة، الأمر الذي جعله يقصي احتمال إخراج أو تمرير ورقة على عكس ما يحدث في القاعات المجاورة؛ أراد سلام كسر حاجز الصمت الذي فرض على القاعة بنكتة

فقوبل بـردة فعل غيـر متوقعـة مـن الأسـتاذة ذات الشـفاه الحمـراء والأسـنان الصفـراء والسـروال الـذي يعطـي لـكل متسـائل فكـرة عـن تضاريسـها أنهـا غيـر معنيـة، وفـي الوقـت ذاتـه سـمع صوتـا ينبعـث مـن الخلـف لا تضيـع وقتـك فـي الأمـور التافهـة، أمـا البقيـة كانـوا أجسـادا بـلا أرواح ملقـاة علـى كراسـي، وحتـى ينتقم سـلام منهم كان يطلـب منهـم فـي كل نصـف سـاعة إحضـار المـاء لـه وبعـد المـاء بربـع سـاعة كان يطلـب منهـم مرافقتـه للمرحـاض، وبعـد ربـع سـاعة مـن المرحـاض كان يتظاهـر بأنـه مريـض ويحتـاج لأن يخـرج مـن القاعـة ليجـدد نشـاطه وهكـذا إلـى أن يمرّ الوقـت كلـه وعلـى مـدار ثلاثـة أيـام ونصـف. ومـن سـوء حـظ هـؤلاء الحـراس أن القاعـة كانـت فـي الطابـق العلـوي والمرحـاض والسـاحة كانتـا فـي الطابـق الأرضـي فأرهقهـم سـلام صعـودا ونـزولا وفـي آخـر امتحـان ضبـط سـلام وهـو يحفـر علـى طاولـة

الامتحـان: كلكـم أولاد كلبـة لـو كان أبناؤكـم مكانـي لسـهلتم لهـم سـبيل الغـش.

ضخـم النجـاح فـي البكالوريـا الأنـا فـي سـلام وغيّـر نظرتـه لأولئـك الذيـن لـم يسـعفهم الحـظ فـي الامتحـان، وذهـب بـه التيـه والتكبـر للتوقـف عـن العمـل متعلـلا بكيـف لمتحصـل علـى البـاك أن يعمـل عنـد مـن طـرد فـي الابتدائـي؟.

أمضـى أيـام الصيـف مزهـوا بمـا حقـق نافخـا ريشـه علـى الأهـل والجيـران والأصدقـاء وكل من يعرفهم ومـن لا يعرفهـم، وكان يتصـل ويقضـي سـاعات مـع أصدقائـه فـي التشـاور حـول الجامعـة التـي سـيختارونها وكان يعمـل جاهـدا ليفـرض عليهـم جامعـة خـارج الولايـة ليكـون هامـش الحريـة أكبر، حيـث لا سـائل ولا مراقـب لحركاتـه وسـكناته؛ غير أن التسـجيل الأولـي جـاء مخيبـا للآمـال وأرغمـه علـى البقـاء فـي الولايـة والالتحـاق بجامعتهـا.

وبعـد انطـلاق الموسـم الجامعـي ومعاملـة أنصـاف

الآلهة له ولباقي الطلاب رحل الأنا وترك سي سلام لوحده في دوامة، ومازاد الطين بلة أن مدخراته نفذت بسرعة وباتت تصله رسائل مشفرة من الأب مفادها اغتنم وقت الفراغ وابحث لك عن عمل لقد أصبحت رجلا؛ حدثته نفسه بالعودة للعمل لدى صاحب المحل ولكن ما صرح به أثناء نشوة الباك حال بينهما، وهام في تلك الأمسية يتنقل بين المطاعم والمقاهي باحثا على من يقبل به إلى أنوصل إلى أحد المحلات المتخصصة في بيع الأجهزة الكهرومنزلية ودخل عله يظفر بعمل ففوجئ بأن الآمر الناهي في المحل هو صديقه عثمان الذي لم يتحصل على الباك، فحاول سلام أن ينسلّ دون أن يراه صاحب المحل غير أنه سمع صوتا يناديه سلام، سلام، فاستدار وتظاهر بأنه تفاجأ ورسم على وجهه ابتسامة يتفطن الغر قبل النبيه لاصطناعها.

- عثمان: إيييه يا سلام لقد أنساك الباك والجامعة الأصدقاء.

- سلام: لا، لا والله أنا مشغول بالدراسة.

- عثمان: لا عليك هل تحتاج إلى شيء؟

- سلام: لا، لا. كنت مارّا من هنا فقلت أدخل لأتفرج على الأجهزة.

-عثمان: المحل محلّك والحمد لله أننا رأيناك.

فأدرك سي سلام أن أول الباك نشوة وأخره حشوة، وراح يلعن الباك وأيام الباك ويصف نفسه بالغبي، وظلّ على هذه الحال أياما وأياما يتنقّل من محل إلى آخر، ومن مقهى إلى مقهى إلى أن انتهى به الأمر في مرحاض عمومي بموقف الحافلات.

فاختلف فيه البشر، فمنهم مشفق، ومنهم محتقر، ومنهم متعجب ومتسائل كيف يقبل العمل في هذا المكان؟ وكلهم كانوا في نظره أولاد كلبة؛ لأنهم لم يسكبوا الماء بعد قضاء حاجتهم.

كانت المطالعة هي متنفس سلام الوحيد وملجأه الذي يهرب إليه كلما اشتدت عليه محن الأيام، غير أنها هي الأخرى لم تتركه في حاله ولم تمنحه ما كان يرجوه فيها ومنها، وأول صدام كانت سببا له كان مع الأب الذي كان يرى أنها مجهدة للعينين ومبذرة للكهرباء ومضيعة للوقت ومفسدة للعقل، وكثيرا ما كان يردد على مسامع سلام ذلك الذي فتح شهية سلام للمطالعة.

- الأب: ما الفائدة من المطالعة ومولانا عبد الفتاح موجود؟

-سلام: ذلك الذي بيته أكبر من بيت الله، والله لولا انبطاحه لما حاز شبرا.

- الأب: اخرس، اخرس وإلا حلت عليك لعنة مولانا؛ أقول لك شيئا: أغرب عن وجهي حتى إذا أصابتك مصيبة كنت لوحدك.

يدخل سلام غرفته وهو يصرخ متى نستفيق من غفلتنا؟ متى نفرق بين العلماء الربانيين وعلماء

السلطان؟ متى نتنبه لمن يستحمرنا ويستغبينا متى؟ رحم الله سيدي الإمام أحمد؛ يستلقي سلام على ظهره مرسلا أفواجا من الزفرات تتلو بعضها البعض فتقع عينه على عنكبوت اتخذ من زاوية الغرفة بيتا له فيخاطبه: احمد ربك أنك لست آدميا، وليس لديكم متفيقهين مثلنا يجيزون لسلطانكم أخذ أموالكم، وجلد ظهوركم. غارقون في فقه المراحيض، ينسبون كل بلاء حلّ بالأمة لأفعال العامة وينسبون كل ذرّة خير لمولاهم، فيتحرك العنكبوت كأنه يتحاشى الحديث مع سلام فيبتسم صاحبنا بسخرية بينما هو يعبث بيمينه بشعر بطنه مُحرّكا بيسراه مالم تطله يد أولاد الكلبة.

يغطّ سلام في نوم كاد أن يكون ثقيلا لولا صراخ الأم الذي بدّد الصمت المخيم على الأجواء.

الخالة فاطنة: سلام، سلام ألحق أخاك..

قفز سلام من سريره وهو شبه عارٍ وشبه

منتعل ونـزل درجـات السـلم كأنهـا درجـة واحـدة فوجـد أخـاه منيـر ملقى علـى الأرض والدماء تسـيل مـن جميـع أنحـاء جسـده ووجهـه، سـاعتها لـم يكـن سـلام يريـد معرفـة مـن فعـل؟ ومتـى فعـل؟ وكيـف فعـل؟ وأيـن هـو الفاعـل؟ كان همّـه الوحيـد هـو إيصـال منيـر للمستشـفى وفـي أسـرع وقـت ممكـن؛ وبعـد أن اطمئـن علـى أخيـه راح يلملـم تفاصيـل القضيـة مـن هنـا وهنـاك، خلـص مـن خلالهـا إلـى أن سـيارة بيضـاء قذفـت بأخيـه لأحضـان الرصيـف ولاذت بالفـرار، وقضـى ليلتـه يقسـم ويتوعـد بـأن يحطـم السـيارة ورأس صاحبهـا.

وفـي صبـاح اليـوم المـوالـي اسـتيقظ سـلام باكـرا ليـزور أخـاه فـإذ بـه يجـد عنـده رجـلا فـي العقـد السـادس مـن عمـره قصيـر القامـة، ذا لحيـة بيضـاء يضـع نظـرات طبيـة وطاقيـة تخفـي مـا فعـل الأبيـض بالأسـود يهمـس فـي أذن منيـر، فلمـا حـاول سـلام أن يشـاركهما الحديـث تعلـل كل منهمـا بـأن

القضية المطروحة لا تحتمل وجود طرف ثالث، ومما زاد دهشة سلام أنه كان كلما زار أخاه في المستشفى وجد هذا الشيخ محملا بالمأكولات والألعاب، وكلما همّ سلام ليسأل الرجل عن اسمه وسبب تعامله معهم بهذه الطريقة حدث ما حال بينه وبين ما يريد إلى أن جاء اليوم الذي يغادر فيه منير المستشفى ففاجأهم الشيخ وهو يفتح باب سيارته الخلفي وينادي على سلام.

- الشيخ: تعالوا أوصلكم لا داعي لسيارة الأجرة.

زادت دهشة سلام وحيرته وانقسم على نفسه مرة يقول: ربما هو الشخص الذي صدمت سيارته أخي وجاء ليكّفر عن فعلته، ومرة يقول: هو مشفق على حالنا، ما وضعت حرب سلام مع نفسه أوزارها إلا بعد أن تكلّم الشيخ.

- الشيخ: أنا أرى في عينيك سؤالا منذ أن رأيتني بالقرب من سرير منير يا ابني أنا رجل فقد أبناءه الثلاث شيماء ومريم ومحمد،

في حادث سير ولحقت بهم أمهم فاطمة بعد أربعة أشهر لعدم قدرة جسدها الضعيف على تحمّل الصدمة. فهذا قضاء الله وقدره وأنا أقبله ولكن ما حزّ في بقاء شيماء تنزف لأكثر من عشرين دقيقة قبل رحيلها دون أن يحرّك أحد ساكنا، وحادثة أخيك منير عادت بذاكرتي إلى تلك اللحظة فخشيت أن يحدث له ما حدث مع أبنائي، فأنا الذي أخذته للمستشفى أتذكر يومها كنت تصرخ أسرع أسرع إنه في خطر والحمد لله ها أنا أعيده لأهله سالما غانما يا ليتهم فعلوا مع شيماء..

ولم يتوقف سلام عن الذهاب للمستشفى حتى بعد خروج منير منه فتردده على أخيه جعله يتعرف على الممرضة نجاة التي أخذ رقمها بحجة أن تطمئنه على حالة منير، فتطور الحديث بعد تماثل منير للشفاء، وبدأ يأخذ منعرجا غير المنعرج الذي فتح لأجله التواصل، وقضت نجاة

وسلام ليالٍ طوال على الهاتف لم يتركوا فيها موضوع لم يتحدثوا فيه، ومن خلال الحديث الذي كان يدور بينهما لمست نجاة أذني سلام وأدركت أنه لا يملك أي خبرة أو معلومات مسبقة عن المجال الذي دخله فراحت تشترط وتأمر وتنهى وما كان من صاحبنا إلا السمع والطاعة وكلما كان يطلب قبلة كانت تتحجج بالعفة والطهارة وتصرخ في وجهه: لن يكون هذا إلا بعد الزواج.

وبينما هو معلق بين متاعب الحياة ومتاعبه العاطفية وخيانة الصبر له باح لصديقه أسامة بالذي بينه وبين نجاة وما يلاقيه منها، فضحك أسامة من قوله فاندهش سلام لضحكه.

- سلام: ما المضحك في كلامي؟؟

- أسامة:أنا أضحك من قولها، والله إنها عفيفة كما قالت بنت الكلب.

- سلام: هل تعرفها؟

-أسـامة: قـل لـي مـن بقـي ولـم يعرفهـا أقـول لـك، أنظـر أ ليس هـذا رقمهـا؟ أ ليسـت هـذه صـورتهـا؟ شـاهد العفيفـة الطاهـرة، نجـاة صاحبـة وكالـة تشـغيل الشـباب، إن وجدتـك متمرسـا وفحـلا لـن تعمّـر معـك، وإن وجدتـك طرطـورا تحضـر الهدايا والبيتـزا وتشـحن الرصيـد ركبتـك مـن دون سـرج، يـا سـلام لا تقـل لـي أنـك طرطـور..

- سـلام: لا لا، مـا كان منـي إلا أن وعدتهـا بالزواج فغرقـت وسـلمت بـلا مقاومة.

-أسـامة: أنصحـك بالابتعـاد لأنهـا أخبرتنـي أنهـا حامـل فـي شـهرها الأول وأنهـا تبحـث عـن الشـخص المناسـب لتلبسـه القضيـة.

تنهـد سـلام وقـال: آه يـا مـلاك الرحمـة يـا بنـت الكلـب، ومنـذ تلـك اللحظـة لـم يـرد علـى اتصالهـا ولـم يذهـب للمستشفى، ولـم يعـد يشـتكي من شـيء.

انتهـت العطلـة وعـاد سـلام لمقاعـد الجامعـة وعـاد لسـماع كلام أنصـاف الآلهـة عـن أنفسـهم، وعـن

عنترياتهم، وبطولتهم التي صنعوها في خيالهم المريض، وعاد لمشاهدة أفعال هؤلاء الأصنام أشباه الدكاترة وهم يتحرشون بالطالبات وهم يساومونهن بالنقاط من أجل إخضاعهن لرغباتهم الدنيئة. فسلام على الرغم من اجتهاده المشهود له به إلا أنه أُدخل الامتحان الاستدراكي لأنه رفض التنازل عن حبيبته لأستاذه الدكتور الذي كان يسرب لها أسئلة الامتحان قبل حدوثها بيوم أو يومين ليخطب ودها؛ ومع هذا كله نجح سلام وتخرج وأصبح عاطلا.

وكلما سمع عن مسابقة توظيف فرش أوراقه في غرفته وأعلن أنها منطقة محظورة يمنع التجول فيها، ويدفن رأسه بين الأوراق لجمع ملف من الملفات المرفوضة، وكله أمل بأنه سينجح ويستريح من تنظيف المراحيض.

وفي الصباح حمل ملفه واتجه صوب الجهة المعنية باستلام الملفات ففوجئ بأن رقمه 310

وتساءل في نفسه أ كل هؤلاء من أجل منصبين؟ فلم يترك لنفسه فرصة لتجيبه، فسمع الإجابة من صاحب الرقم 389 ما هذا إلا الفوج الأول وفي المساء الفوج الثاني يبدأ من520 ويتوقف عند 730 أو 735 أو740 فنطق صاحب الرقم 410، لمَ الإحصاء؟ قل الله أعلم بعدّتهم. فانفجر الجميع يضحك إلا سلام انفجر ساخطا تبّا لأولاد الكلبة ..

وبعد أسبوعين جاء يوم الامتحان وتكدست المدرجات بالعاطلين وملئت المراحيض بإفرازات الخوف، ومن الصدف العجيبة في هذا الامتحان أن يجتمع ابن مدير... مع ابنة مدير... مع أخت رئيس البلدية مع ابنة أخ عميد كلية... مع زوجة رئيس.... في قاعة لا تضم غيرهم، ومن الصدف العجيبة أن يكون في القاعة حارس واحد بينما كان عدد الحراس في القاعة التي يمتحن فيها سلام خمسة، والأعجب من ذلك أن

قائمة الناجحين والاحتياط من القاعة ذاتها.
وأُعيد الملف كالعادة ليكون جنب الملفات المرفوضة، انفطر قلب الأم المسكينة على ابنها.
-الخالة فاطنة: ألم أقل لك تعال معي عند سي حمد، لقد ذهبت إليه خيرة من أجل ابنها الذي أصبح موظفا، ولولاه لما تزوّجت لطيفة بنت أم العيد.
- سلام: لو كان ينفع لنفع نفسه وأنجب أولادا.
- الأم: نسخة من أبوك، لا عندكم أكتاف تستندون عليها، ولا عندكم مال تدفعون به عن أنفسكم، الشيء الوحيد الذي لا يتفوق عليكم فيه أحد خشونة الرأس. في يوم من الأيام سأهرب من البيت وأتركه لكم.
خرجت الأم والحزن يعتصر قلبها وأطرق سلام برأسه وغاص فيما قالت الأم ولم يستيقظ إلا على صوت الهاتف الذي جاء ليزيد الطين بلة ويخلط الحابل بالنابل.

-سلام: آلو من معي؟

- المتصـل: معـك سـطيف طلـب منـي بوعـزة الاتصـال بـك وطلـب منـي أيضـا أن أخبـرك بأنـه تـم تعييـن رضـوان مكانـك ويريـد منـك تسـليمه مفاتيـح المرحـاض.

- سلام: رضوان لرقط ابن أخت بوعزة؟

- سـطيف: أنـا لا أعرفـه ولا علاقـة لـي، طلـب منـي إخبـارك فأخبرتـك.

- سـلام: والله إنـه ابـن كلبـة وتبـا لـه وللمرحـاض وللمحسـوبية التـي تواضعـت ليصـل بهـا الأمـر للمراحيـض.

بـدأت مدخراتـه فـي النفاذ، وبـدأت حركته تقل شيئا فشيئا كإجراء لإطالـة عمر ما يملك، فتـردّده على المقاهـي وتتبعـه للظـلّ مـن جـدار لجـدار رمـى بـه فـي حضـن أنـاس لا يفرقـون بيـن النهـار والليل من كثـرة التبوقيـل، وأول مـا قدمـوه لـه كاحتفـال بضمه لهـم قـرص وسـيجارة محشـوة، فاعتـذر عـن الأول

وأقبل على الثاني فكان يمصها مصّ الرضيع لثدي الأم غير أن هذا كان يطلب الحياة وصاحبنا كان يطلب الموت، وفي إحدى السهرات معهم في ليالي الشتاء البارد طاحت الدولة (تم القبض عليهم) ولولا خفة سلام لصام رمضان وقضى العيدين بين أربعة جدران؛ وبعد التحقيق أنكر رفاقه وجوده معهم ومع ذلك حكم عليه بستة أشهر سورسي (مع وقف التنفيذ)، بقي سلام خلال هذه المدة يعيش كوابيس بالنهار حتى أنه حرّم على نفسه شرب الدخان الذي ابتلي به وهو ابن الثانية عشرة وتوارى عن الأنظار فلم تشاهده الأعين إلا وهو ذاهب وعائد من المسجد؛ وبعد انقضاء مدة السورسي قرر سلام ملأ وقت فراغه بالتطوع في جمعية خيرية تعمل على التكفل بالأيتام والمعاقين والمشردين والأرامل و..، كان صاحبنا يشعر بالبطولة والفخر كلما أسندت إليه مهمة، ومما أثار الريبة

لدى سلام أن أغلب المتطوعين في هذه الجمعية انسحبوا منها، فكلما تساءل عن السبب أجابه الحاج بلخير: إن فعل الخير يحتاج إلى صبر وإيمان عالٍ يثبت صاحبه ويسدّده لفعل الخير وكل هؤلاء الذين انسحبوا لم تتوافر فيهم شروط فاعل الخير لهذا انسحبوا وأنا أتوسّم فيك خيرا وأرى فيك هذه الشروط، وأتمنى أن لا يخيب فيك ظني فأنت لست مثلهم، وعلى الرغم من أن كلام الحاج بلخير كان مقنعا إلا أن سلام لم يقتنع وراح يبحث ويقلب الحجر عن الحقيقة إلى أن اكتشف أن بلخير قبل الجمعية لم يكن يملك سوى أسنانه في فمها وبقدرة قادر أصبح حاجا ويركب سيارة من آخر طراز ويلبس ساعة تكفي أولئك الذين ينهب أموال المغفلين باسمهم ثلاثة أشهر، وبما أن الحاج بلخير أخبر سلام أنه ليس مثل أولئك المنسحبين قرّر سلام أن تكون استقالته مختلفة عن استقالات من

سبقوه فصارح الحاج بلخير بما عرف واشترط لبقائه أن تكون له نسبة في الأموال المنهوبة باسم محاربة الفقر وحماية الفقراء، فجحظت عينا الحاج بلخير واحمر وجهه الممتلئ وراح يصرخ:

- الحاج بلخير: كلام الحاقدين سمعته وصدقته، كلام من لا يريد الخير للناس تتبعه، خيّبت ظني بك وأنا الذي كنت أقول عنك أخو الفقراء، أبو اليتامى من بعدي آه يا سلام كسرت ظهري..

فوجه إليه سلام رصاصة الرحمة: يا ابن الكلبة الضغط يرتفع بسبب أكلك مال الحرام فهذا عقابك في الحياة الدنيا فانتظر عقابك في الآخرة.

ومنذ تلك اللحظة قرر سلام الاعتماد على ذاته في بناء ذاته، وأنه لا يهتم إلا لحاله وقرر استبدال الشهادة الجامعية التي لاتسمن ولا تغني من جوع بشهادة التكوين المهني، واكتشف هو

وأساتذته موهبة فيه، قرر الأستاذ الممتحن له استغلالها فأخذه معه للبيت وطلب منه طلاءه مقابل أن يعطيه العلامة الكاملة في الامتحان النهائي فرضخ سلام لطلب الأستاذ وهو مرغم لا بطل. ولم يسلم سلام من لسان زملائه في الدفعة الذين كانوا يصفونه بالشيات آكل الكاشير. لم تدم فرحة سلام بالعمل وعودة الحياة لجيبه الذي عشّش فيه الفقر إذ عرض عليه عبد الرحمان العمل لدى زميله نبيل في مشروع يتولّى فيه سلام طلاء عمارة من سبع طوابق ونصف، فرأى سلام في ذلك العرض أول خطوة لتحقيق هدفه في الحياة فقبل دون تفكير أو مشاورة ولم يأخذ إنجاز المطلوب منه سوى أشهر. وبعدها فوجئ بتغيير نبيل مكان عيشه وكلما اتصل به ليسأل عن أتعابه وجد هاتفه مغلقا أو خارج مجال الإنسانية والأخلاق، ولما قصد عبد الرحمان ليستفسر عن القضية أجابه

-عبد الرحمان: بأنه مشغول وأنه سيتواصل مع نبيل ليطلعه على الجديد؛ وبعد مرور سنة ونصف ومراوغات عبد الرحمان اكتشف سلام أنها كانت مسرحية وأن صديقه عبد الرحمان قدّمه هدية لصديقه نبيل، وكانتقام لنفسه أخذ طلاء أسود وكتب بخط عريض على جدار العمارة أنا أجتهد ونبيل يسرق وعبد الرحمان أخبث ذكر عرفته الإنسانية وكلهم أولاد كلبة.
الجميل في سلام أنه كان يترنّح ولا يسقط، وكل الضربات التي تلقاها من الحياة وممن عرفهم كانت تزيده قوة وإصرارا على بلوغ الهدف الذي وضعه نصب عينيه، فكان يبتسم عقب كل ضربة يتلقاها لا لشيء وإنما لإفقاد الضارب لذّة النصر الذي حازه عن خديعة وخبث، وكثيرا ما كان يردّد عقب الابتسامة يا أولاد الكلبة هاتوا ما عندكم بلا شفقة ولا رحمة لن أركع ولن أستسلم وإني على الدرب سائر إما بلوغ

الهدف أو الموت في سبيل تحقيقه.

أقبلت الانتخابات البرلمانية وهناك من رأى في سلام ضحية، فصحبه للمقهى وطلب منه أن يطلب ما يشاء وعرض عليه أن يكون له معينا في القضية، ووعده في حال فازت جماعته في الانتخابات سيوفرون له منصبا وزوجة ومنزلا وسيارة وعمرة له ولوالديه، وسيكونون شفعاء له يوم القيامة ويتوسطون له لدى الرّب ليمنحه من حور العين ما يشاء، وفي الوقت الذي يشاء، وأن حزبهم حزب الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

صدّق سلام الكلام المرصّع لسببين: الأول أن سلام يجهل القضية، والثاني لكونه غريق يرى في القشة طوق نجاة، وانطلت عليه الحيلة فخرج من المقهى متورما بالأوهام المطلية بالصدق والروح الوطنية يحرض كل من تراه عيناه على انتخاب سي البلعوط. ومرّت أيام الحملة

ولا حديث لصاحبنا إلا عن تواضع وإنجازات وعظمة وشهامة السي البلعوط فألّف نشيدا في سي البلعوط ردده هو والأغبياء من حوله.

- سلام: حبيبكم مين؟؟
- السفهاء: سي البلعوط.
- سلام: وتنتخبوا مين؟
- السفهاء: السي البلعوط.

ظلّ سلام ومن حوله على هذه الحالة إلى أن جاء يوم الصندوق حيث استيقظ سلام قبل الديك لبس ثيابه على عجل، وخرج مسرعا حتى أنه أكمل لبس حذائه في الخارج متجها لمركز الاقتراع. فلم يهنأ له بال إلا بعد أن وضع في رقبته طوقا مكتوب عليه مراقب فتضخمت الأنا وزاد شعوره بالمسؤولية، وراح يهرول بين قاعات الانتخابات والقوم من حوله يتغامزون على إخلاص ووفاء سلام للبلعوط، ويقمعون ضحكاتهم بأيديهم حتى لا يراهم كلب

سي البلعوط كما سماه من كان في المركز.
أفرغت الصناديق بعد أن أفرغت جيوب سلام
على من كان يشتري أصواتهم بسندويش كاشير
وفنجان قهوة وأربع سيجارات وبعد الفرز
والتدقيق أعلن فوز سي البلعوط بالأغلبية التي
لم يكن له يد في جذبها له، فرقص وكبّر وهلل
وطبّل وزغرد سي سلام غير منتبه لما يخبئه
له سي البلعوط. كانت أول خطوة قام بها سي
البلعوط بعد تسلمه مهامه تغيير شريحة الهاتف
وتغيير نظرته لأولئك الذين كان يقول عنهم أبناءه
وإخوانه وأنه منهم وبهم ومن أجلهم سينتصر
وسيسهر على تحقيق أحلامهم وأمانيهم...، لم
يعد صاحبنا أبو العرّيف يسمع سوى صوت
واحد يتردد على مسامعه إن جهاز مراسلكم
مغلق أو خارج مجال التغطية. لقد خدعتم فهنيئا
لكم أيها الحمقى الأغبياء، فيسرع بدس الهاتف
في جيبه وهو يردد لقد خدعني ابن الكلبة.

كان العالم الأزرق هو الملجأ الوحيد الذي يهرب إليه سي سلام من الواقع المرّ الذي يعيشه ففتح حساب باسمه وصورته وراح يفرغ في تلك الصفحة المسكينة مكبوتاته، فهذه صور لسيارات فاخرة وتلك لفيلات لم يستطع بناءها إلا في خياله تتخللها بعض الصور لحسناوات كان يتمنى رؤيتهن في الواقع، واستمر الحال أياما وهو يبحث داخل هذا الفضاء عن فتاة تؤنس وحدته وتخفّف عنه وتشعره بأنه موجود ويمارس عليها ذكورته؛ ولسوء حظه وخبث نيته جاءه طلب صداقة من إحداهن تسمي نفسها أميرة بأخلاقي فاستجاب بسرعة أسرع من سرعة البرق، فبدأ الكلام بسلام ثم تعارف إلى أن اشتبكت العلاقة وتطوّرت ووصلت حدّ إرسال القلوب الحمراء المزينة بأبيات من الغزل العفيف، وكلما طلب سلام أن تبعث صورتها تحججت بأنها لا تملك لها صورة على الهاتف

وأن كاميرا الهاتف معطلة، وكلما كان يتقرب خطوة ابتعدت خطوتين فكانت تجرّه ليقع في شباكها وكلما أحسّت باقتراب نفاذ رصيدها وتجمد عاطفته اتجاهها أرسلت صورة فتاة تنام على صدر شاب، وتكتب تحتها كم أتمنى أن أفعلها معك فيهرول لصاحب المحل ويعبئ رصيدها ويطلق العنان لعواطفه وأحاسيسه، ولما ملّت من تعبئة الرصيد والكلام المعسول غابت ليومين عن العالم الأزرق وبعدها عادت تبكي وتنتحب في أحد المنشورات ساعتها قفز سي سلام بيديه ورجليه في الفخ وكتب على الخاص.

- سلام: خير إن شاء الله؟

- أميرة بأخلاقي: أخي في المستشفى ونحتاج لعشرة ملايين من أجل إجراء عملية جراحية.

- سلام: للأسف لا أملك إلا أربعة منها ممكن أبعثها لك.

- أميرة بأخلاقي: والله يا سلام لقد كبرت في عيني وازدادت مكانتك في قلبي شكرا لك أيها النبيل أتمنى من الله أن يقدرني على رد معروفك.

سلام: هذا ليس وقت المجاملة ابعثي رقم حسابك قبل إغلاق مكتب البريد.

ومنذ لحظة تحويل المبلغ من حساب صاحبنا إلى حساب أميرة بأخلاقي لم يعد سي سلام يرى تلك النقطة الخضراء التي كانت وراء إفلاسه؛ وراح يكتب لها الرسالة تلو الرسالة، وتدرجت نبرته فيها من السؤال عن الأخ إلى السؤال عن سبب الغياب الطويل إلى مطالبتها بأن تعيد له المال إلى التهديد، وكان آخرها السب والشتم والقاسم المشترك بين هذه الرسائل أنها لم تكن ترد عليه، وبعد أن فقد الأمل كتب منشورا على صفحته بخلفية حمراء خدعتني بنت الكلب.

خرج من البيت بعد أن سجل الخروج من

الفيسبوك لا يعرف أين يتجه ولا مع من يجلس ولا لمن يحكي زلته.

أقبل شهر رمضان شهر التوبة والغفران بالنسبة للأقلية وشهر الانتهازية لدى الأغلبية حيث يكثر النفاق وتُرفع الأسعار ويتحول الحلاق إلى زلايبي، ويقفز سعر البيضة من عشرة إلى عشرين ولتر الحليب من خمسة وعشرين لخمسة وثلاثين إن وجد، ويصبح ذلك الذي يعيش على عرق الأجير طيلة أيام السنة إماما يؤم الناس في التراويح ويبكي البعض في الصلاة ليس خوفا من الله بل لأن رمضان حال بينهم وبين ما يشتهون من المعاصي والمناكر، فقرّر سي سلام أن يحذو حذو الحلاق فاتصل بأحد الزلايبيين للعمل معه غير أن صاحبنا طرد من العمل بسبب اعتراضه على استعمل زيت القلي أكثر من مرتين، وكتصعيد منه اتصل بالجهات المعنية وفوجئ في صباح اليوم التالي أن أحد

الموظفين في تلك الجهة المعنية يخبر صاحب المحل بضرورة تغيير الزيت؛ لأن المصلحة شكّلت لجنة لزيارة المحل فشكره صاحب المحل وأقسم عليه أن يأخذ هذا الكيس كهدية.

سيظل سلام أو الشيصبان كما يحب أن يناديه الناس يعامل الناس على مختلف مستواهم وعقلياتهم بطيبته التي يرها مستغلوه أنها غباء، وسيظل صامدا أمام أعتى العواصف التي تقف في طريقه، وسيظل مبتسما مهما فعل البشر والزمن...





الشيصبيان

يوسف حاجي